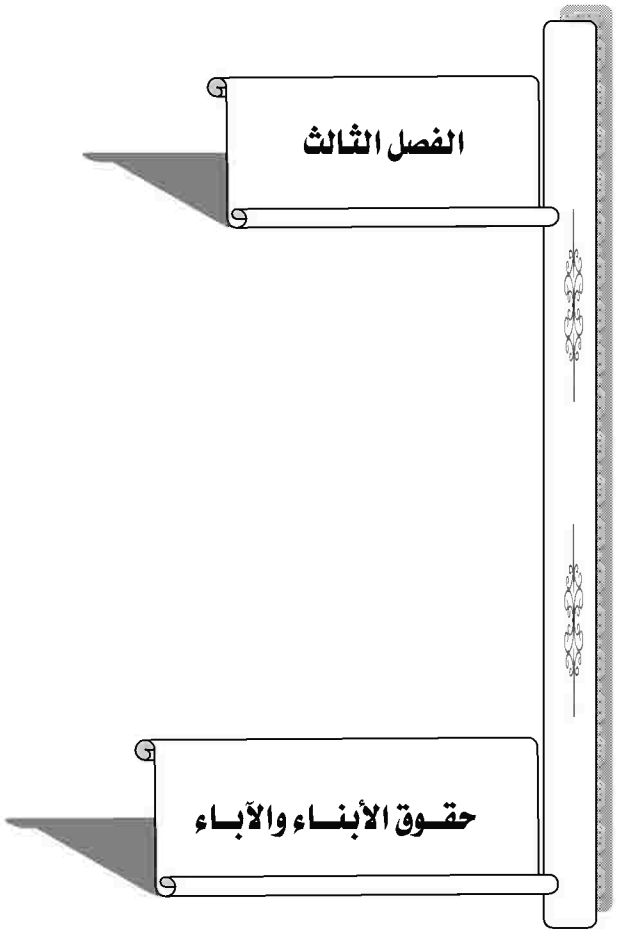
الفصل الثالث
حقـوق الأبنـاء والآبـاء

حقـوق الأبنـــاء والآبـــاء

مما لا شك فيه أن الإنسان قد فُطر علي حب نفسه أكثر من أي شيء آخر . لكنه حينما ينجب تجد نسبة كبيرة من هذا الحب تتحول إلي الأبناء . فيصبح همُّه الأول إسعادهم قبل إسعاد نفسه ، بل إنه يجد سعادته في سعادتهم ، ولا يحلو له عيش وهم في ألمٍ وضجرٍ ، وهذه نعمةٌ من نعم الله علي ابن آدم أنه يلقي محبته في قلب الأبوين أشار إليها في الحديث القدسي في معرض امتنانه تعالى ببعض نعمه علي عباده فقال تعالي في الحديث القدسي " وألقيت محبتك في قلب أبويك فلا يرقدان حتى ترقد ولا يشبعان حتى تشبع " .

ليس هذا فقط بل إنك لا تجد إنساناً يحب أو يتمني أن يكون أحدُ أفضل منه إلا ابنه . فمهما تبوأ الوالدان أعلي المناصب وحصلا علي أعلي الدرجات فإنهما يتمنيان دائماً لابنهما أن يفوقهما . بل ويكونان أسعد الناس بذلك ويتفاخران بذلك بين الناس .

ولكي نصل بأبنائنا إلي أكثر مما نريد لابد وأن نؤسس لذلك جيداً .
ولن نجد أفضل من المنهج الإسلامي الذي وضعه الحق جل وعلا للإنسان وتعهد من اتبعه بعدم الشقاء أبداً يقول تعالي ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ [طه : ١٢٣]

ومنهجنا في عرض منهج الإسلام في تربية الأبناء يبدأ ببيان حقوق الأبناء علي آبائهم وفضلت أن أبدأ بحقوق الأبناء أولاً حتى نؤسس لأبناء صالحين تربوا علي

مائدة القرآن والسنة من ناحية ، وحتى يتسنى لنا بعد ذلك مطالبتهم بحقوق الآباء عليهم من ناحية آخري ، وإلا فكيف نطلب من ابن لم يأخذ حقه من أبويه أن يعطيهما حقهما ؟ ففاقد الشيء لا يعطيه . وكيف نطلب من الأبناء عدم عقوق أبويهم وقد عقّ الآباء أبناءهم قبل أن يولدوا ؟

- فلنبدأ بحقوق الأبناء علي أبويهم وما يجب علي الآباء تجاه أبنائهم .

حقوق الأبناء

إن للأبناء حقوقاً علي آبائهم ليس منذ ولادتهم فحسب بل من قبل ولادتهم بكثير وحتى من قبل زواج الأب بالأم وهي كالتالي :

١- حسن الاختيار :

أي اختيار الزوج للزوجة والزوجة للزوج . فأول حق للطفل علي أبيه : أن يختار له أماً صالحة .

وقد وضع الإسلام معايير للصلاح المنشود في الزوجة قال ﷺ " تنكح المرأة لأربع لمالها ، وجمالها ، وحسبها ، ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك " [رواه البخاري] والمعنى : أن هناك من الرجال من يطلبون في الزوجة المال، ومنهم من يطلب الجمال ، ومنهم من يطلب الحسب ، ومنهم من يطلب الدين ، ثم وضّح لنا الرسول ﷺ أن الدين هو المعيار الحقيقي الذي تُطلب له المرأة وأن المال والجمال ليسا معياراً معتبراً في الزواج قال ﷺ " لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسي حسنهن أن يُردِيهن ، ولا تزوجوا النساء لمالهن . فعسي أموالهن أن تُطغِيهن ، ولكن تزوجوهن علي الدين . ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل " [ابن ماجه] .

وهذا نداءٌ مهم يحتاجه شباب اليوم الذي أصبح المعيار عنده الجمال الخِلقي لا الجمال الخُلُقي .

فأريدك أيها الشاب وأنت تختار شريكة حياتك أن تنظر إليها نظرة بعيدة المدى . وتسأل نفسك هل ستصلح هذه البنت أن تكون أماً لأولادك أم لا ؟

ولأن الأم كالأرض التي تزرع فيها البذرة فإذا كانت الأرض صالحة أخرجت نباتاً طيباً وإذا كانت فاسدة إما أن تخرج نباتاً خبيثاً أو لا تخرج أصلاً يقول تعالي ﴿والْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ والَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلاَّ نَكِداً﴾

[الأعراف : ٥٨]

فعلي الإنسان أن يحسن اختيار الرحم الذي يضع فيه نطفته وإلي هذا المعني يشير النبي ﷺ في حديثه " تخيّروا لنطفكم . فإن العرق دسّاس " وفي رواية أخري " تخيّروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن" [انظر الجامع الصغير].

وهذا نداء لكل شباب اليوم أن ينظر من سيكون خالاً لأولاده . ويرشدنا النبي ﷺ إلي ضرورة النظر في منبت المرأة وعدم الاغترار بالجمال فيقول " إياكم وخضراء الدِّمن . قالوا : وما خضراء الدِّمن يا رسول الله . قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء " [انظر المقاصد الحسنة] .

وليس هناك مانعاً من أن تكون الزوجة جميلة فالله جميل يحب الجمال. ولكن لا يجب أن يكون أساس الاختيار هو الجمال .

مع الوضع في الاعتبار أن الجمال أمر نسبي يختلف من شخص إلي شخص فقد يري إنسان في امرأة جمالاً معيناً لا يراه آخر .

وكما أن من حق الولد على والده اختيار أمه لأنها سوف تكون الحاضنة لطفله أطول فترة ممكنة ومنها يأخذ الطباع والأخلاق .

فإن على الزوجة أيضاً حقاً لولدها وهو :

أن تحسن اختيار أبيه الذي هو زوجها . ولتبحث فيه عن الأب بكل ما تعنيه كلمة الأبوة من معنى المسئولية ، والقدوة الحسنة ، والشخصية القوية السوية ، الأخلاق

العالية . ولا يتأتي ذلك إلا من صاحب الدين يقول ﷺ : " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه . إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير " [الترمذي] .

وعلي ولي البنت أن يتحري جيداً ويعرف أين يضع ابنته يقول المصطفي ﷺ " النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته " [رواه البيهقي] .

ومن حكمة الإسلام وعظمته أنه ترك للبنت حرية اختيار الرجل الذي ترغب في الزواج منه حتى تكون مسئولة عن اختيارها بل ونهي النبي ﷺ عن أن يفرض علي البنت زوج معين لا ترغبه فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال ﷺ "الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تُسْتأمر في نفسها ، وإذنها سكوتها " [مسلم عن ابن عباس] وجاءت خنساء بنت خذام رسول ﷺ وقالت " إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته . وأنا كارهة . فرد نكاحها " [سنن الدار قطني] .

فجاءت تشكو أن أباها أرغمها علي الزواج من ابن أخيه – وكانت عادة عندهم – ولم تكن ترغب فيه فرد النبي ﷺ نكاحها .

٢– **حق الحياة** – حقه في عدم إجهاض أمه – :

ولا أقصد بذلك أن الأبوين يعطيان لابنهما الحياة . لأنهما لا يملكان ذلك ، ولكنني أقصد حق الولد في الرعاية منذ أن يكون جنيناً . حقه في عدم إجهاض أمه وإنزاله بعد أن حملت به وتخلّق ، لا منذ نفخ الروح فيه بعد مائة وعشرين يوماً كما يعتقد البعض .

فلقد أثبت العلم الحديث أن الطفل لا يجوز التخلص منه متى لُقِّحت البويضة لأنه ساعتها يكون خلقاً من خلق الله لا يجوز التخلص منه بل يعتبر قتلاً لنفس حرّم الله قتلها دون ذنب . إلا إذا دعت الضرورة لذلك وأقصد بالضرورة مثلاً ما إذا كانت هناك خطورة علي الأم بسبب حملها فقد نهي الحق جل وعلا عن إضرار الأم بأي

نوع من أنواع الإضرار بسبب ولدها ﴿لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

أما أن يتخلص منه بعد الحمل لضيق العيش مثلاً فهذا لا يجوز شرعاً لقول النبي ﷺ " أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك " [البخاري] لأنه متى تخلّق الجنين فقد تكفل الله برزقه .

ومن حق الحياة أيضاً تنظيم النسل قبله وبعده ليأخذ الطفل حقه في الرعاية .

٣- حسن التسمية :

فيجب علي الأب أن يحسن اختيار الاسم لمولوده ذكراً كان أم أنثي . وهي من أصعب المهام التي نستهين بها .

فمن حق الولد علي والده أن يختار له اسماً حسناً فلا يسمه اسماً قبيحاً منفراً يُعَيَّر به فيما بعد أو يُنَفِّر الناس منه . كمن يُسمِّي ولده مثلاً : برغوت – جعران – جُعلا – أبو لهب – عبد الدار – عبد العزى . بل عليه أن ينتقي له من الأسماء ماله معني طيب جميل راجياً أن يكون لولده نصيبٌ من اسمه والرسول ﷺ يأمر بتحسين الأسماء وانتقاء أفضلها بقوله " إنكم ستدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم " [أبو داود] .

- وليس معنى ذلك أن نحصر الأسماء كلها فيما حُمِّد وعُبِّد أي فيما يُشْتَق من الحمد والعبودية حتى أن حديث " خير الأسماء ما حُمِّد وعُبِّد " حديث أشار بعض العلماء إلي ضعفه .

- ويشير النبي ﷺ إلي ما سبق من الحقوق في حديثه " حق الولد علي والده أن يحسن اختيار أمه ، ويحسن اختيار اسمه ، وأن يعلمه شيئاً من القرآن " [البر والصلة للحسين بن حرب] .

ولأهمية هذه الحقوق الثلاثة وأثرها علي عقوق الأبناء فيما بعد . تأمل هذا الخبر:

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو عقوق ولده له فقال عمر للابن : أما تخاف الله في عقوق والدك ؟ فقال الابن : يا أمير المؤمنين أليس للابن علي والده حق ؟ قال بلى . قال وما هو ؟ قال : أن يستنجب (يختار) أمه – أي لا يتزوج امرأةً دنيئة يُعَيّر بها الولد – ويُحْسِن اسمه ، ويعلمه الكتاب فقال الابن : فوالله ما استنجب أمي ، وما هي إلا سندية (أَمَة) اشتراها بأربعمائة درهم ولا أحسن اختيار اسمي فسمّاني "جُعلا" وهو اسم لحشرة دنيئة ، ولا علمني من كتاب الله آية واحدة . فالتفت سيدنا عمر للأب وقال له : لقد عققت ولدك قبل أن يعقّك . (١)

٤– حق الولد في أن يأتي من زواج شرعي :

فمن حق الولد علي والديه أن يأتي من زواج شرعي علي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا من سفاح حتى لا يشقي به والداه ويحاسبا عليه في الآخرة وحتى لا يلحق العار ولده بهذا طيلة حياته وأي عارٍ يعير به الإنسان أقبح من هذا ؟

فإن مما يتفاخر به الناس فيما بينهم أنهم من نكاح لا من سفاح ويلحق بهذا الحق .

٥–حق الطفل في أن يعيش بين أبوين:

وذلك يتطلب من الزوجين البعد عن الشقاق الذي قد يؤدي بهما إلي الانفصال ، حتى وإن حدث الشقاق فلابد أن يتريثا طويلاً ويفكرا كثيراً ويطرقا كل السبل قبل الوصول إلى مرحلة الطلاق الذي قد يريح الزوجين ولكنه قد يضر أكثر ما يضر بالأولاد .

---

(1) تنبيه الغافلين للسمر قندي صـ ٤٦

٦- العقيقة :

وهي اسم لما يُذْبح من النعم عن المولود ذكراً كان أو أنثى يوم سابعه إن كان الوالد قادراً على ذلك . وإلا فلا تجب عليه إلا حين الميسرة وإن لم يستطع الأب أن يعقّ عن ولده طيلة حياته فليخبره حين يكبر بذلك ليعق هو عن نفسه .

والعقيقة سنة مؤكدة عن النبي ﷺ الذي يقول فيها " كل غلام مرهون بعقيقته . تُذبح عنه يوم سابعه ويسمى ويحلق ويتصدق بوزنه ذهباً أو فضةً " [أبو داود] هذا بالطبع عند القدرة .

والحكمة من العقيقة :

أ- شكر الله تعالي علي نعمة الولد - وما أعظمها من نعمة - ومن أراد أن يعرف قيمة هذه النعمة فلينظر إلي من حُرِم منها .

ب- التوسل بها إلي الله لحفظ المولود ورعايته .

ويسن أن يؤذّن في أذنه اليمنى ويقيم الصلاة في اليسرى لقوله ﷺ " من وُلد له مولود فأذّن في أذنه اليمني وأقام الصلاة في اليسرى لم تضره أم الصبيان " [شعب الإيمان - البيهقي] وأم الصبيان هي: تابعة الجن الموكّلة بالصبيان .

ويعق عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة ولا يُحْلق شعر الأنثى .

٧- حق الرضاعة :

فمن حق الطفل أن يرضع من أمه حولين كاملين لقوله تعالى {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ } [البقرة : ٢٣٣] ولو تأملنا هذه الآية لوجدنا شيئين مهمين :

أولهما : أن هذه الآية نزلت في الزوجين المنفصلين ومع ذلك فقد أوجب الإسلام علي الأم أن ترضع ولدها .

وثانيهما : أن الفعل المضارع "يرضعن" يتضمن معني الأمر والمعني "ليرضعن" بلام أمر مُقَدَّرة أي علي الوالدات أن يرضعن أولادهن .

فإذا كان الإسلام يوجب علي الأم – وإن انفصلت عن زوجها بالطلاق – أن ترضع ولده . وعليه ألا يمنعها من ذلك . بل وعليه أن ينفق عليها مدة الحمل والرضاعة {وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ } [الطلاق : ٦] هذا عن المنفصلين فما بالك إذا لم يكونا منفصلين؟ فإن هذا الحق يكون أوجب .

كما أن الأطباء يقررون أن الرضاعة الطبيعية منذ الولادة مباشرة لها فوائد عديدة نجملها فيما يلي :

فوائد الرضاعة الطبيعية:

أ- تساعد علي إفراز (هرمون الأوكسيتوسين) الذي يساعد على سرعة انقباض الرحم وعودته إلي هيئته الطبيعية .

ب- ثبت أن الرشفات والحسوات الأولي للطفل عقب الولادة والتي تعرف باسم "لبن السرسوب" أنها مهمة وضرورية جداً للطفل لأنها تحتوي علي نسبة كبيرة من المضادات الحيوية ، والفيتامينات الطبيعية اللازمة للطفل في بداية تكوين جسمه .

فتكون بمثابة تطعيم وتحصين طبيعي للطفل.

ج- أثبتت بعض الدراسات أن المرأة التي ترضع طفلها طبيعياً تتراجع فرصة إصابتها بسرطان الثدي وبعض السرطانات الأخرى .

هـ- أثبتت الدراسات أن الرضاعة الطبيعية تحرق سعرات حرارية إضافية عند الأم مما يسهل فقدان الشحومات الزائدة التي علقت بجسم المرضعة أثناء فترة الحمل.

و- الرضاعة الطبيعية تقوي العلاقة بين الأم وطفلها وذلك من كثرة احتكاكها بطفلها، وهذا الاحتكاك الجسدي مهم جداً لحديثي الولادة لأنه يجعلهم يشعرون بالأمان والراحة في هذا العالم الغريب عليهم .

ز- لبن الأم سهل الهضم وغني بالعناصر الغذائية ، والمضادات الحيوية الطبيعية التي تقي الطفل من الأمراض .

كما أنها تقوي مناعته ضد الأمراض .

ح- لبن الأم يحتوي علي المعدلات الصحيحة للدسم والسكر والماء والبروتينات بنسب منضبطة . هي التي يحتاجها الطفل بالفعل في هذه المرحلة (مرحلة النمو) هذه النسب لا يستطيع أمهر المتخصصين أن يضبطها بهذا الشكل (فسبحان الله).

ي- لبن الأم لا يحتوي علي أي مواد أو شحومات زائدة تؤدي إلي زيادة وزن الطفل فنضمن بذلك للطفل حياة صحية سليمة فيما بعد .

ك- لبن الأم نسبة التعرض فيه للتلوث نسبة ضعيفة إذا قورنت بما يمكن حدوثه مع الرضاعة الصناعية .

ل- أثبتت الدراسات أن الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية سجلوا معدلات ذكاء أعلي من أقرانهم خاصة الذين ولدوا قبل الأوان . (١)

م- كما أثبتت الدراسات والتجارب:

أن الطفل يتأثر في رضاعه بالحالة المزاجية للأم فإن كانت الأم متوترة أو غاضبة أو عصبية فإن ذلك يظهر في طبيعة اللبن ويؤثر في الطفل . وإذا تكرر ذلك كثيراً وجدت الطفل كثير الشكوى من بعض التقلصات .

---

(1) الطب والطب البديل – تراجي فتحي مجلة الجزيرة يوليو ٢٠٠٧

ولذلك ينصح الأطباء بألا ترضع الأم طفلها وهي في هذه الحالة لأنها ستنقل إلي الطفل توترها وعصبيتها ، وعلى الزوج أيضاً دور في ذلك بأن يحرص علي أن يجعل الأم في – فترة الرضاعة – في حالة مزاجية طيبة لأن ذلك يعود علي طفله.

كما ينصح الأطباء بضرورة احتضان الأم للطفل عند الرضاعة والنظر في عينيه لأن ذلك يعطي للطفل جرعة حنان معنوية تغذى روحه لا تقل أهمية عن جرعة اللبن التي تغذي جسمه .

فإن الطفل يتأثر بذلك إيجاباً وسلباً .

وهذا ما قرره الإسلام حينما أمر الأم أن ترضع ولدها حولين كاملين ولا يسترضعوا أولادهم عند مرضعات – إلا إذا دعت الضرورة لذلك– وإذا كان الأطباء ينصحون بضرورة إرضاع الطفل عقب الولادة مباشرة فإن ذلك له أصل ودليل من القرآن نأخذه من قوله تعالي ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ [البقرة : ٢٣٣] والمعني أنه يجب علي الزوجة أن ترضع ولدها عقب إطلاق لفظ الوالدة عليها وهذا اللفظ لا يطلق إلا عقب الولادة مباشرة . فبمجرد الولادة تسمي الزوجة (والدة) وبمجرد تسميتها والدة يصبح لزاماً عليها أن ترضع ولدها مباشرة .

ولا ننسى أن نؤكد على أن الفطام لا يجب أن يتم إلا بمشاورة بين الزوجين ولا ينفرد أحدهما بهذا الأمر دون الآخر لقوله تعالى ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة : ٢٣٣] ومعنى فصالاً (أي فطاماً) فأكدت الآية أن الفطام لابد أن يكون عن تراضٍ من الزوجين وتشاور .

٨– حق النفقة على الأولاد :

فحق علي الوالد أن ينفق علي ولده منذ أن يكون جنيناً حتى يكبر ويستطيع الكسب والاكتفاء بنفسه.

فيأمر الإسلام الزوج بأن ينفق علي زوجته ويغذيها منذ أن تحمل وحتى تلد وإن انفصلا بالطلاق كما أشرنا في حق الرضاعة في قوله تعالي ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق : ٦] وقوله تعالى ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة : ٢٣٣]

بل إن الإسلام يشير إلي أن عدم إنفاق الوالد علي ولده يعتبر ذنباً كبيراً وإثما عظيماً يقول المصطفي ﷺ " كفى بالمرء إثماً : أن يضيع من يقوت" [أبو داود] ومن جانب آخر فإن الله سبحانه وتعالى يجزل الثواب علي المنفق علي عياله ويجعله أفضل من المتصدق في سبيل الله فعن أم سلمة قلت يا رسول الله ﷺ هل لي في بني أبي سلمة أجر أن أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا ولا هكذا إنما هم بنيَ فقال " نعم لك أجر ما أنفقت عليهم " [متفق عليه] .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال ﷺ " أفضل دينار ، دينار ينفقه الرجل علي عياله ودينار ينفقه علي دابته في سبيل الله " [الترمذى رقم ١٩٦٦] .

وحقٌ عليه أن يطعمه من حلال يقول المصطفي ﷺ " حق الولد على والده أن يعلمه الكتاب والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيباً " [البيهقي – شعب الإيمان عن أبي رافع] .

ويجب على الوالد أن يعلم أنه حين ينفق على ولده فإنه لا يمن عليه بذلك لأنه واجب عليه بل عليه أن ينفق عن طيب نفس حتى يثاب علي ذلك .

٩– حق التربية :

ويبدأ هذا الحق منذ وصول الطفل لسن التمييز ويأخذ أشكالاً مختلفة في الطرق والأساليب حسب كل مرحلة من عمره .

ففي السنين الأولي من حياته تكون التربية عن طريق غرس بعض الفضائل والأخلاق الطيبة البسيطة المعني التي يستطيع الطفل أن يفهمها . ويا حبذا لو غُرست

هذه الفضائل بأسلوب سهل لين حاني وحينئذٍ ترتبط هذه الفضائل في ذهن الطفل بمعاني جميلة فيكون ذلك أوقع في ذهن الطفل فيتذكرها طيلة حياته .

ولنبدأ معه بأسلوب الترغيب ولفترة طويلة ، ثم شيئاً فشيئاً نتبع أسلوب الترهيب ، ولا يكون الترهيب بالضرب ، أو بالتعنيف ولكن يكون بتعريفه عواقب هذا السلوك البذيء وأثره علي حياته .

ونهيه أيضاً بأسلوب هين لين لا بالزجر والردع . ولنأخذ مثالاً على ذلك من معلم البشرية فروي عن عبد الله بن عامر قال " جاء إلينا رسول الله ﷺ وأنا صبي . فذهبت لألعب . فقالت أمي يا عبد الله تعالي أعطيك . فقال لها النبي ﷺ وما أردت أن تعطيه ؟ قالت: تمراً. فقال لها رسول الله ﷺ : أما علمت أنك لو لم تعطه كُتبت عليكِ كذبة " [رواه أبو داود] . فإن الردع والزجر ساعتها قد يورث عند الطفل عناداً أو كرهاً وقد يأتي بنتائج سلبية .

وفي قصة أبي يزيد البسطامي تصديق ذلك فقد أرسلته أمه إلي بغداد وهو صبي ليتعلم العلم . وأعطته أربعين ديناراً ، وأخذت عليه عهداً أن يصدق ولا يكذب أبداً. فاعتدي قطّاع الطرق علي قافلتهم . وأخذوا كل ما فيها . فلما وجدوه صبياً رث الثياب تبدو عليه علامات الفقر . سألوه : هل معك شيء ؟ فقال: أربعون دينار. فظنّوه يهذى . فعرضوه علي كبيرهم . فوجد معه بالفعل ذلك المال فتعجب زعيمهم من صدقه وسأله عن سبب صدقه مع أن كذبه كان سينجيه من اللصوص. فقال : لقد عاهدت أمي علي الصدق ما حييت فقال زعيمهم : أتخاف أن تخلف عهدك مع أمك ولا نخاف نحن أن نخلف عهدنا مع الله ؟ والله لقد تبت علي يديك أيها الصبي. وتاب كل من معه وردوا الغنائم إلي أهلها .

انظر إلى أثر التربية وغرس الفضائل في النفس منذ الصغر .

ولا تنس وأنت في مرحلة تقويم الطفل أيضاً أنك تتعامل مع طفل فلابد أن تراعي مستوي تفكيره بمعني أنك قبل أن تحاسبه علي خطأ لابد أن تعرف أولاً أنك تعامل طفل بمعنى كلمة طفل.

ولكن الكثير منا للآسف الشديد عندما يخطأ الطفل ينظرون إلي الخطأ وحجمه دون النظر إلى من صدر منه هذا الخطأ . ولابد أن تعرف أن الأخطاء تقدر حسب عقل ونضج فاعليها . فإنهم في هذه الحالة يحاسبونه علي أنه كامل النضج لذا ينهرونه ويردعونه .

وهذا خطأ كبير . فلابد أن نفكر ساعتها بتفكير الطفل وعندها سنري أن خطأه هذا طبيعي مناسب لسنه ويحتاج فقط لمجرد التوجيه .

وإليك مثالاً على ذلك من معلم البشرية ﷺ عندما أرسل أنساً ابن مالك "وكان صبياً" لبعض حاجته . فغاب أنس . فخرج رسول الله ﷺ فوجد أنساً يلعب مع الصبيان ونسي ما أُرسل إليه فقال له ﷺ : " يا أُنيس ألم أرسلك في كذا ؟ فتذكر أنس وذهب لحاجة رسول الله ﷺ فلما عاد إلي أمه سألته أين كنت ؟ فقال: كنت أقضي أمراً إلى رسول الله ﷺ . فقالت له : إياك أن تفشي سر رسول الله ﷺ " .

انظر إلي أمرين مهمين في هذا الحديث :

الأمر الأول هو كيفية التعامل مع خطأ الطفل في هذه المرحلة فانظر كيف تعامل رسول الله ﷺ مع الصبي الذي أخطأ بنسيانه فلم يُعنّفه النبي ﷺ لأنه عرف أنه طفل وما صنعه مناسب لسنه لأن من طبيعة هذه المرحلة (حب اللعب وكثرة النسيان).

يتضح ذلك من قوله ﷺ (يا أُنيس) وهو تصغير لكلمة أنس وهذا التصغير مقصود من النبي ﷺ نفهم منه أن النبي ﷺ قد فهم طبيعة وسن الغلام . وأن من سمات هذه المرحلة النسيان واللهو.

والأمر الثاني : نتعلمه من أم أنس حينما علمت أن النبي ﷺ أرسل ابنها في حاجة لم يأخذها الفضول – كعادة أغلب النساء – فلم تحرص علي معرفة هذه الحاجة بل حرصت علي أن تغرس في ابنها خلقاً كريماً وهو حفظ السر وكتمانه حتى ولو عنها هي نفسها .

انظر إلي هذه المعاني التي يشير إليها هذا الحديث والتي من الممكن أن يسطَر فيها علماء النفس والتربية صفحات طويلة .

يعلمه لنا رسول الله ﷺ في أوجز عبارة وأبلغ صورة .

وهذا ما قصدته من عصرية الإسلام وصلاحيته لقيادة البشرية .

واعلم أن أول ما يربي عليه الطفل هو الدين : فلتبدأ بتعريفه بالله وصفاته وبالأنبياء والرسل ، وهذه كانت أول وصية يوصيها لقمان لابنه وهى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به ﴿يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان : ١٣] .

ثم بعد ذلك نعرفه الحلال والحرام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم : ٦] وعن أبي هريرة قال : أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه أي فمه " فقال رسول الله ﷺ: كخٍ كخٍ ارم بها أما علمت أنّا لا نأكل الصدقة ؟" [رواه مسلم] .

أما أن نربي أولادنا علي كيفية الحصول على المال بأي وسيلة حلالاً كانت أم حراماً، والتفنن في تعليمهم ذلك – كما يحدث في عصرنا الحاضر – ونظن أنّنا نعلمهم شيئاً يواجهون به صعوبة الحياة .

فهذا خطأ كبير يقع فيه الكثيرون من آباء هذا العصر . والله تعالي يرشدنا إلي ما يصلح لأبنائنا وإلي خير ميراث نتركه لأبنائنا يقول تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ [النساء : ٩] .

ثم يعلمه باقي أحكام الإسلام وفرائض الدين حسب وجوب هذه الفرائض عليه بدءاً من الصلاة والصيام وغيرها من العبادات .

ثم بعد ذلك تبدأ مرحلة التأديب وتكون في الغالب بعد سبع سنين . وليعلم الأب أن أعظم ما يقدمه لولده هو الأدب يقول ﷺ : " ما نحل والدٌ ولده نُحلاً خيراً من أدب حسن " [رواه الترمذي] ومعنى نحلا أي وهب أو أهدى أي أن أفضل هدية يهديها الوالد لولده هي أن يحسن تأديبه ويقول ﷺ " لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بصاع " [رواه البزار] والمعنى أنه خير للإنسان أن يؤدب ولده أفضل من أن يتصدق بصدقة في سبيل الله .

ومن أساليب التربية أن نعلم أبناءنا الذين لم يبلغوا الحُلم آداب الاستئذان .

آداب الاستئذان للأطفال :

فقد أمر الإسلام الصبي غير المميز بالاستئذان في الدخول علي أبويه خاصة في ثلاثة أوقات وهى قبل الفجر ، وبعد الظهر ، وبعد العشاء ، لأن هذه الأوقات يغلب على الظن فيها انكشاف العورات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ [النور : ٥٨] انظر إلى هذه الآداب السامية التي تساعدنا في تنشئة أبنائنا علي العفة .

- **ومن وسائل التربية أيضاً :**

- التفريق بين الأولاد (ذكوراً وإناثاً) في المضاجع فيجب علي الآباء أن يراعوا أولاً التفريق بين الذكور والإناث في المضاجع (أماكن النوم) بدءاً من سن العاشرة من عمرهم .

يقول المصطفي ﷺ " مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين . واضربوهم عليها وهم أبناء عشر . وفرّقوا بينهم في المضاجع " [رواه أحمد]

انظر إلي عظمة الإسلام وتوجيهاته التي تغافلنا عنها فكانت النتيجة جرائم شنيعة لم نكن لنسمع بها لو أننا اتبعنا المنهج الإسلامي فها هو الإسلام يحرص علي التفريق بين الذكر والأنثى منذ الصغر لئلا يتعرف الذكر علي عورة الأنثى .ولا يخدش حياء الأنثى في هذه السن.

تلك المعاني التي كانت من نتائج التغافل عنها تلك الجرائم البشعة التي نسمع عنها كثيراً في زماننا (زنا المحارم وغيرها) .

ومن أساليب التربية أن يغرس الوالدان في نفس أبنائهم الحب لبعضهم فيعوّد الأخ أن يحب أخاه أو أخته منذ صغره حتى يكبروا علي هذا الحب . فإن ذلك أعظم ميراث تورّثه لأبنائك .

فإذا اعتاد الأخ أن يحب أخاه منذ صغره فلن يظلمه ، ولن يهجره ، ولن يتنازع معه على شيء حينما يكبرا . بل سيترك كل واحد منهم لأخيه ما يريده ولكن ما نراه اليوم من شقاق ونزاع وقضايا بين الأخ وأخيه يرجع سببه : إلى أن الأبوين لم يغرسا في أبنائهما الحب ولم يعودوهم علي الحب منذ الصغر.

١٠- توفير البيئة الصالحة داخل البيت :

لكي ينشأ الطفل نشأة سوية لابد من توفير البيئة الصالحة داخل البيت لأن ذلك يشكل سلوك الطفل .

فالبيئة الهادئة الحانية البعيدة دائماً عن التشاجر والعصبية والتي يغمرها الحب والحنان والتفاهم والإيمان لابد أن تُخرج طفلاً سوياً فكما يقولون "الإنسان ابن البيئة" .

ولنأخذ مثالاً على ذلك . لعلي بن أبي طالب مثلاً مع أن أباه مات كافراً لكن علياً عاش مثلاً يحتذي فلم يتأثر بأبيه وذلك لأنه تربي ونشأ في بيت النبوة . فكان بيت النبي ﷺ هو المحضن والمنشأ الأول الذي شكّل سلوكه وأخلاقه . (١)

وقد أثبت علماء النفس والتربية أن الطفل يكتسب من أبويه أكثر من ٧٠% من أخلاقهما وطباعهما . فالطفل العصبي مثلا وجدوا أنَّ أحد الملاصقين له منذ صغره كان عصبياً أو يعامله بعنف فاكتسب الطفل بالضرورة منه هذه الصفة وهكذا .

فيجب علي الأبوين أن يكونا حذرين عند تعاملهما مع طفلهما فيجب أن يغمرانه في سنينه الأولي بالعطف والحب والحنان لأن ذلك يؤثر في تشكيل شخصيته ، وفي هدوء طبعه ، وحُسْن سجاياه ، ولا يتشاجرا أمامه . لأن ذلك أيضاً يؤثر في سلوك الطفل كما أنه يعطي صورة سيئة عن الحياة الأسرية وعن الزواج بشكل عام .

فبسؤالي لإحدى الفتيات اللاتي عزفن عن الزواج لماذا ترفضين الزواج ؟ قالت " ولماذا أتزوج ؟ : أ أتزوج حتى يشتمني زوجي ويضربني ويهينني كما كان يصنع أبي مع أمي " .

انظر كيف ترى هذه البنت الزواج الذي جعله الله سنة لاستمرار الحياة . وإليك هذا التقرير عن أثر البيئة في تكوين سلوك الفرد وتشكيل شخصيته بشكل عام .

أثر البيئة (الأسرة المتحابة) في تشكيل الشخصية :

أثبتت التجارب والدراسات أن النشأة الطبيعية للطفل لا تكون إلا في ظل والدين تجمع بينهما كل معاني التفاهم والحب والاستقرار النفسي وأن الإنسان مهما يتحقق له من أسباب الرعاية الغذائية والصحية منذ صغره . ويفقد حنان الأبوين . فإن نشأته

---

(1) سيرة ابن هشام ج١ ص ١٦٢.

لن تكون سوية صحيحة . وهذه النشأة تؤثر بالضرورة علي مستقبل حياته وتشكيل شخصيته ، كما أثبتت الدراسات أن الأطفال الذين ينشئون في أُسر تغمرها السعادة والتفاهم فإن هذه النشأة يكون لها أثرها البالغ في زيادة نسبة ذكائهم [١] . وأن الأطفال الذين ينشئون في المؤسسات ودور الأيتام وغيرها فإن هذه النشأة يكون لها تأثيرها الفاعل في تأخر وتضاؤل قدراتهم اللفظية والعقلية .

وبالتجربة ثبت أن الطفل الذي تتبناه أسرة يعيش معها يزيد ذكاؤه عن قرينه الذي يعيش في إحدى المؤسسات مدة طويلة . [٢]

ولقد ثبت أيضاً أن العلاقة الحميمة بين الزوجين لها أثرها البالغ في تنمية الإبداع والابتكار لدي الأطفال فتبين أن كثيراً من الأطفال ذوي القدرات الإبداعية الخارقة قد نشئوا في ظل أسرة متفاهمة لا يكثر فيها الشقاق والنزاع .

كما تبين أن آباء المبدعين يمثلون عاملاً حاسماً في أدائهم الإبداعي بسبب تلاصقهم بهم واستثارة الآباء لمواهب أبنائهم وتنميتها . [٣]

وتبين أيضاً أن أكبر معدل نمو للقدرات العقلية إنما يحدث خلال فترات النمو الأعظم للدماغ والقشرة الدماغية . وهذا النمو يكون مصحوباً بزيادة مرموقة في القدرات العقلية. ويتحقق ذلك غالباً بدءاً من سن الثالثة والرابعة حتى السادسة [٤] .

فإذا كانت المرحلة الباكرة من حياة الطفل تتمتع بهذه الخاصية وهى النمو المتزايد للقدرات العقلية . فإن البيئة المحيطة به في هذا السن – وهى الأسرة – تقوم بالدور الأول والأكبر في رعاية هذا النمو ودفعه إلي مجالات العطاء النافع وتساعد علي

---

(1) محمد بدران " أطفال بلا أسر ترجمة " .
(2) د. عبد الحليم محمود " الأسرة وإيداع الأبناء " دار المعارف – القاهرة ص١١٧ ، ١٢٢ .
(3) د. عبد الحليم محمود " الأسرة وإيداع الأبناء " مرجع سابق ص١١٧ ، ١٢٢ .
(4) سلوي أبو زيد " النمو والتربية " جريدة الشرق القطرية .

بناء العقلية الابتكارية للأطفال الذين هم رجال الغد والذين سوف يوكل لهم تغيير مظاهر الحضارة وتطوير شكل الحياة الإنسانية . (١)

١١- العدل بينهم في المعاملة :

فلا يُفضَل ذكراً علي ذكر ولا ذكراً علي أنثي . ويعدل بينهم في كل شيء . فإن لهذا العدل أثره الكبير في مدي حب الإخوة والأخوات بعضهم لبعض . كما أن للتفرقة والتمييز بينهم أثره الخطير في كراهية الأولاد لبعضهم فينشأ كلٌ منهم لا يشعر بأخيه.

وتأمل هذا المثال الرائع لضرورة العدل بين الأولاد .

فعن النعمان بن بشير قال : أعطاني أبي عطية فقالت أمي – عمرة بنت رواحة – : لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ فأتى إلي رسول الله ﷺ فقال ﷺ: "آعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ فقال : لا . قال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم قال : فرجع فردَ عطيته " [رواه البخاري] .

وكذلك يجب علي الوالدين عدم التفرقة بين الذكر والأنثى كما هي عادة المجتمعات الشرقية يقول المصطفي ﷺ " من كانت له أنثي فلم يئدها "يدفنها حية في التراب" ولم يهنها ولم يُؤثر (يُفضَل) ولده عليها أدخله الله الجنة " [أبو داود عن ابن عباس]

بل عليه أن يكرمها ويساويها بالذكر في كل شيء . فكما يحرص أن يداعب الولد ، ويتبسط معه في الحوار . فكذلك الأنثى تحتاج من والديها لأكثر من ذلك .

فيجب أن يصاحبها ويداعبها بل ويُشْعرها بأنوثتها وجمالها ويُسْمعها أطيب الكلام وأعذبه . لئلا تنجذب لأول رجلٍ يسمعها هذا الكلام الذي لم تسمعه من قبل وساعتها تكون العواقب وخيمة .

---

(١) أ د. محمد الدسوقي " دعائم العلاقة الزوجية وأثرها علي تنمية الابتكار لدي الأبناء " مجلة منبر الإسلام عدد ٦ يونية ٢٠٠٧

فانظر إلي رسول الله ﷺ كيف كان يعامل فاطمة فكان ﷺ يداعبها ويلاطفها بل ويصاحبها قال ﷺ " فاطمةُ بَضْعَةٌ مِنِّي " فمن أغضبها أغضبني " [رواه البخاري]. وتروي لنا السيدة عائشة " أن فاطمة أتت النبي ﷺ يوماً . فأجلسها عن يمينه ، وأسرّ إليها حديثاً . فبكت ثم أسرّ إليها حديثاً . فضحكت فقالت عائشة : ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب منه إلى حزن . فسألتها (أي سألت عائشة فاطمة عن الحديثين) فقالت أي فاطمة : ما كنت لأفشي سر رسول الله .

فلما قُبض ﷺ قالت فاطمة : إنه قد أسرّ إليّ أن جبريل عارضني هذا العام بالقرآن مرتين . وإني لأراه دنو (قرب) أجلي ، وإنكِ أول أهلي لحوقاً بي فبكيت ثم قال : ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة قالت : فضحكتُ لذلك " [البخاري] فانظر إلى روح الصداقة التي تظهر بين الأب وابنته .

١٢- حق التعليم :

فمن حق الأولاد علي الوالدين أن يحرصا علي تعليم أولادهما لقول المصطفي ﷺ "حق الولد علي والده أن يعلمه الكتاب والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيباً " [رواه البيهقي] وفي رواية أخري " حق الولد علي والده أن يحسن اختيار أمه ويحسن اختيار اسمه وأن يعلمه شيئاً من القرآن " [سبق تخريجه] ويقول المصطفي ﷺ " طلب العلم فريضة علي كل مسلم ومسلمة " [الطبراني والبيهقي] .

فإذا كان طلب العلم فريضة كما رأينا وبما أن الطفل في سنينه الأولي لا يعرف أهمية ذلك فيجب علي الوالد أن يوجهه إلي ذلك فها هو لقمان الحكيم يوصى ابنه بتعلم العلم ومجالسة العلماء فيقول : " يا بني جالِس العلماء ، وزاحمهم بركبتيك . فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء " .

وها هو الزبير بن بكر يوصي ابنه بتعلم العلم فيقول : " يا بني عليك بالعلم . فإن افتقرت كان لك مالاً ، وإن استغنيت كان لك جمالاً " فعلي الوالد ألاّ يألو جهداً ، ولا يدخر وسعاً في سبيل تعليم أبنائه ذكوراً وإناثاً . لأن في العلم تحصيناً لهم يقول سيدنا عليٍّ : " العلم أفضل من المال ، العلم يحرسك والمال أنت تحرسه . العلم حاكم والمال محكوم . العلم يزكو بالنفقة ، والمال تنقصه النفقة " .

ولأهمية التعليم للأبناء يقول الإمام الحسن البصري : " سمعت شيخنا يقول : تنازع أبوان صبياً عند القاضي . فخيّر القاضي الصبي بين أبويه . فاختار الصبي أباه . فقالت أمه للقاضي : اسأله لماذا اختار أباه ؟ فسأله القاضي فقال الصبي : إن أمي تبعثني إلي الكتّاب كل يوم والشيخ يضربني . ولكن أبي يتركني ألعب مع الصبيان فقضي به القاضي للأم وقال لها : أنت أحق به " (١) فالتعليم واجب للأبناء لأنه يبصّرهم بأمور الدين والدنيا فيجعلهم يفهمون الدين بشكل صحيح فيعبدون الله علي بصيرة . كما أنه يزودهم بالخبرات التي يحتاجونها لفهم الحياة ومواجهة تقلباتها٢.

١٣- حق الابن والابنة في بناء شخصيتهما :

من الواجب علي الوالدين أن يحرصا علي أن تكون لابنهما شخصية مستقلة ومتميزة. وأن يغرسا فيه منذ صغره هذه الميزة وينمياها فيه .

وذلك بأن يشعراه بأهميته في حياتهما ، ودوره في المجتمع ويستحب أن يكون ذلك في السنين العشر الأولى من حياتهما .

فمن الآباء من يحاول أن يمحو شخصية أبنائه - خاصة أمام أبيه - ظناً منه أن ذلك نوع من الأدب أو أن ذلك يتعارض مع احترام الابن لأبويه ويحدث ذلك كثيراً مع البنت .

---

(1) زاد المعاد ج٤ ص ١٣٨ .
(2) د. محمد فؤاد الأهواني " التربية الإسلامية " ص ١٢٩ .

وهذا فهمٌ خاطئ وله أثره السيئ علي حياة الولد أو البنت فيما بعد ، فإذا لم يشعر الابن أو البنت أن له شخصية مستقلة في أسرته (والديه) فإنه ينشأ علي ذلك ضعيف الشخصية . فيكون إنساناً سلبياً لا يؤثر ولا يتأثر بغيره . ولذلك ينصح بعض علماء التربية بضرورة الحرص علي بناء الشخصية في الابن منذ صغره (ذكراً كان أو أنثى) في هذه السن التي تُشكل فيها الشخصية بدءً من السابعة إلي العاشرة لأن " من شبّ علي شيء شاب عليه " .

ويتحقق بناء الشخصية في ولدك بما يلي :

بألا نهمل له فكرة .

ولا نسفِّه له رأياً .

ولا نكبت له شعوراً .

ولا نتجاهل له إحساساً .

وراقب تصرفاته .

وارقب تطلعاته وطموحاته .

نظّمها ، وهذِّبها . فإذا لمست في ولدك تميزاً في مجال معين فحاول أن تنمي هذا التميز .

وإذا وجدت انحرافاً في أفكاره وتطلعاته فلتوجهَّا أولا بأول توجيهاً إيجابياً .

وتعالوا نتعلم من موقف سيدنا يعقوب حينما لمس في ولده يوسف عليه السلام ذكاءً، وحسن بصيرة . نصحه أولاً : بألا يفصح عن ذلك أمام إخوته حتى لا يكيدوا له سوءً . ثم بدأ يتعهده بالنصح والإرشاد ويخبره أنه سيكون له شأن عظيم وكبير . فكان لهذه الكلمات أثر كبير في شخصية يوسف " عليه السلام" يقول تعالى حكايةً عن

سيدنا يعقوب ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف : ٥ – ٦] .

وها هو سيدنا إبراهيم حينما شبّ ولده إسماعيل ووصل إلي مرحلة السعي والمشي مع أبيه يستشيره في أخطر أمر من الممكن أن يستشير فيه والدٌ ولده ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات : ١٠٢] .. من هذا يتضح لنا ضرورة معاملة الأبناء بشكل يحفظ عليهم شخصيتهم وينميها فيهم .

وإذا كان تكوين الشخصية يتطلب مصاحبة الابن فإن من تمام ذلك أن يعرف الأب أصدقاء ابنه أو ابنته – خاصة في المرحلة الأولي من حياته – لأن للصديق تأثيراً كبيراً في شخصية صديقه ولقد أشار النبي ﷺ إلي ذلك حينما قال : " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " [أبو داود] فالولد في سنينه الأولي لا يستطيع أن ينتقي أصدقاءه .

فعليك ألا تغفل عن هذا الجانب فتوجهُه دائماً إلي الصديق الصالح ، وتبعده عن السيئ . وذلك بأن توضح له مواصفات الصديق الصالح الذي يأمر صاحبه بكل خير ، ثم توضح له بأسلوب سهل لين سلبيات الصديق السيئ حتى يبتعد عنه.

وانظر إلي هذا التوجيه النبوي الشريف وهو يوضِّح خطورة وأهمية الصديق وأثره علي صديقه يقول ﷺ " مثلُ الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير " أي النار " فحامل المسك أما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبه . ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة " [رواه البخاري عن أبى موسى الأشعري] .

ولا مانع أبداً من مصاحبة أصحاب ولدك – الصالحين – وإكرامهم خاصة أمام ولدك لأن ذلك مما يؤلّف قلب ولدك ويسعده .

وإياك أن تحاول أن تبعده عن أصدقاء السوء بشكل مُنفِّر بأن تطردهم مثلا أو تهينهم أمام ولدك لكي يبعدوا عنه . فاعلم أن ذلك يخلق في نفس ولدك عناداً . فيُؤثر صحبتهم بعيداً عن أعينك .

ومن العوامل التي تساعد في بناء شخصية الأبناء أيضاً :

أن تغرس فيهم منذ صغرهم مبادئ الرجولة ، وكيف يكون رجلاً بمعنى الكلمة يستطيع أن يتحمل المصاعب ويصبر عليها ويقدم الخير لغيره .

وعلّمه كيف يتحمل المسئولية لأنه سوف يكون رجل المستقبل . واحرص علي تعليم ولدك الصبر ، والجَلَد ، والتحمل ، والرفق ، والحلم ، والقوة ، والشجاعة ، والمروءة ، وغير ذلك من مقومات الرجولة . فها هو لقمان الحكيم يُعلِّم ولده مبادئ الرجولة {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان : ١٧-١٩] وها هو سيدنا عليّ يوصي ولده محمد ابن الحنفية ويعلمه الرجولة فيعطيه الراية في إحدى الغزوات ويقول له : "يا بني تزول الجبال ولا تزل . عض ناجذك أعز الله جمجمتك . تد (ثبت قدك في الأرض) في الأرض قدمك. واعلم أن النصر من عند الله سبحانه وتعالى " .

ومن وسائل تعليم الرجولة أيضاً : أن تدرب ولدك علي تحمل المسئولية بأن تترك له مثلاً مسئولية البيت يوماً وأنت معه في البيت ثم يوماً آخر وأنت خارج البيت .

فتعوّده أن يكون مكانك في غيبتك فإن ذلك يربي فيه الرجولة ويشعره بالمسئولية ويعلمه كيف يقود بيته فيما بعد .

١٤- حق الولد في تقرير بعض الأمور الخاصة به :

مثل اختيار الدراسة التي تناسبه ، والعمل الذي يحبه . لأن ذلك أدعي لإبداعه وتفوقه في عمله .

وكم من آباء أرغموا أبناءهم علي دراسة معينة أو عمل معين . وهم ليسوا براغبين في هذا العمل . فكان مصيرهم إما الفشل وإما أن تركوا ما تعلموه ، وامتهنوا مهنةً أخري بعد التحرر من قيود الآباء .

وكذلك ترك الحرية لهم في اختيار شكل حياتهم الخاصة . وذلك بعد التربية الصحيحة والنصيحة ، والتوجيه الجاد من الأبوين ، ثم لنترك لهم حرية اختيار شكل الحياة التي يريدونها ما لم تتعارض مع الدين .

ويلحق بذلك أيضاً : حرية اختيار شريكة حياته (زوجته) .

فكثيرٌ من الآباء والأمهات يتدخلون بل ويشترطون شروطاً معينة في زوجة ابنهم. ومنهم من يطلب مواصفات دقيقة جداً في زوجة ابنه – وكأنه هو الذي سيتزوجها متجاهلين تماماً رغبة الابن وحقه في هذا الأمر.

فليعلم كلٌ من الوالدين أنهما ليس لهما في هذا الأمر إلا النصيحة والتوجيه فقط .

فإذا رأيت عيباً مثلاً في من يرغب ولدك في الزواج منها فعليك أن تكون حصيفاً في إيصال وتوضيح ذلك لولدك حتى لا ينفر منك ، ويصر علي اختياره . فإن الرفق واللين في هذه الأمور يكون أنجح وسيلة للإقناع .

ثم بعد زواجه لابد أن يحرص الآباء على عدم التدخل في حياة ابنهم خاصة في الأمور الشخصية . فكم من بيوت هُدِّمت وأسر شُرِّدت بسبب تدخل الأب أو الأم.

ملحوظة :

وما يقال عن حق الابن في كل الحريات السابقة يقال أيضاً – وبنفس الدرجة – عن البنت . فلها حرية اختيار الدراسة ، والعمل الذي تراه مناسباً لها . أما عن حقها في اختيار زوجها فهذا حق كفله الإسلام لها لا ينازعها فيه أحدٌ ، ولا يرغمها أحدٌ علي الزواج من شخص لا ترغبه ولا تحبه وقد سبق أن سردنا أحاديث كثيرة تدلنا دلالة واضحة علي هذا الحق للبنت .

وإذا كان علماء التربية والمتخصصون في هذا المجال يوصون بأشياء كثيرة في تربية الأبناء . فإن سيدنا عمر بن الخطاب يلخِّص ذلك كله في قول مأثور له يوضح فيه لكل أب القواعد العامة في تربية الأبناء – والتي تصلح أن تكون أصلاً تنبثق عنه ومنه أعظم المناهج التربوية في تربية الأبناء ، يقول رضي الله عنه : "لاعب ابنك سبعاً ، وأدّبه سبعاً ، وصاحبه سبعاً ، ثم دعه يذهب حيث شاء . فإنه قد أصبح أنت" انظر كيف يقسم عمر بن الخطاب حياة الابن ثلاث مراحل . ثم يوضح سمات كل مرحلة ، وما يجب عليك أن تفعله في كل مرحلة حتى يصل إلي الحادي والعشرين من عمره ثم ينصحك بعد ذلك بأن تتركه علي حريته وألا تخاف عليه بعد ذلك لأنه قد أصبح رجلاً مثلك .

ثم يعلمنا سيدنا عمر بن الخطاب أن عملية التربية ليست بالأمر الهين ولذلك بعد كل هذه النصائح في تربية الأبناء فهو يوكل هذا الأمر كله – وهو تربية الأبناء – لله وحده لذلك كان يقول في دعائه (اللهم ربِّ أولادنا) لأنه الأقدر علي معرفة ما يصلح لأبنائنا والمعنى يا رب ربِّ لنا أولادنا .

وهذا ما أنصح به في ختام كلامي عن تربية الأبناء :

أن تفعل كل ما تقدم ذكره ثم تتوجه إلي الله بالدعاء أن يتولى تربية أولادك وأن يشملهم برعايته ويهديهم إلي ما يحبه ويرضاه . وأن يوفقهم إلي ما فيه خير الدنيا والآخرة .

إنه علي ذلك لقدير وبإجابته دعائنا لجدير وصلِ اللهم علي البشير النذير وعلي آله وصحبه وسلم آمين .

حقوق الوالدين في الإسلام

مكانة الأبوين :

للأبوين مكانةٌ عظيمة ليس في الدين الإسلامي فقط ولكن جاءت كل الأديان تؤكد على فضل ومكانة الوالدين فقد مدح الله تعالى بعض أنبيائه ببره لوالديه كسيدنا يحيى ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾ [مريم : ١٤] وسيدنا عيسي ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ [مريم : ٣٢] وقد أخذ العهد علي بني إسرائيل بألا يعبدوا إلا الله وبالوالدين إحساناً فقال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [البقرة : ٨٣] وجاء الإسلام ليُعلي من شأن الوالدين ويرفعهما إلي أعلي المنازل بعد عبادة الله مباشرة يقول تعالي : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [الإسراء : ٢٣]

وقد جعل الإسلام الوالدين في هذه المكانة بعد عبادة الله مباشرةً لعدة أسباب منها:

١- أنهما سبب مباشر في وجود الولد .

٢- أنهما سبب التربية والتنشئة .

٣- أن إنعامهما يشبه إنعام الله من حيث أن عطاءهما لا يطلبان عليه ثناءً ولا ثواباً ولا أجراً .

٤- أن الله تعالي لا يمل من إنعامه علي العبد رغم ذنوبه وكذلك الوالدان لا يقطعان عنه كرمهما وإن كان غير بارٍ بهما .

٥- أن الله تعالي دائماً يفعل للعبد ما هو خيرٌ له لأن العبد لا يعرف أين الخير . وكذلك الوالدان يصنعان لابنهما دائماً الخير ويتمنيان له الصلاح . وأنهما لا يحسدان ولدهما علي شيء مهما كان في خيرٍ ونعمةٍ .

بل ويتمنيان له دائماً أن يكون أفضل منهما . (١)

فإذا كان للوالدين كل هذه المكانة والمنزلة في كل الأديان السماوية . فحريٌ بالأبناء أن يعرفوا ما الذي يجب عليهم تجاه آبائهم وأمهاتهم . حتى يقوموا به وهذا ما سنتعرض إليه في السطور التالية .

ولكن أريد أن أُنبِّه الأبناء إلي ملحوظة مهمة وهي :

أنهم وإن أدوا كل هذه الحقوق – التي سوف نتعرض إليها – وأكثر منها . فإنهم لن يوفوا حق أبويهم عليهم أو يجازوهم علي ما قدموه له من رعاية وعناية جنيناً ، أو رضيعاً ، أو طفلاً ، أو شاباً ، أو شيخاً .

لأنهم وباختصار شديد قدموا لك كل هذه الرعاية . وهم يتمنون لك الخير والحياة .

ولكنك وإن أحسنت إليهم طيلة حياتهما فإنك تفعل ذلك وأنت تتمني أن تستريح يوماً من خدمتهما – إن لم تتمني موتهما –. وهذا فرقٌ كبير بين إحسانك لهما وإحسانهما لك ولعل النبي ﷺ يشير إلي أن الولد مهما قدم لوالديه فلن يوفيهما حقهما حينما رأي رجلاً يحمل أمه علي كتفيه ويطوف بها الكعبة ويقول: يا رسول الله : أبهذا أكون قد

(1) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ج١ ص ٣٢٣

وفيتها حقها ؟ قال ﷺ : " ولا بزفرة من زفراتها " (١) أي دمعة دمعتها عيناها عليك يوماً ما .

كما أنبِّه الأبناء إلي أن : القيام بهذه الحقوق ليس من باب رد الجميل – فلن نستطيع رد جميلهما – ولكن من باب ما لا يدرك كله لا يترك كله فنقول وبالله التوفيق .

حقوق الوالدين

تنقسم حقوق الوالدين إلى قسمين : حقوق مادية وهي قليلة ، وحقوق أدبية ومعنوية وهي كثيرة ومتعددة فلنبدأ بـ :

الحقوق المادية :

١– القيام علي خدمتهما والسعي علي تحصيل مطالبهما والإنفاق عليهما بقدر سعته ويفعل ذلك عن طيب نفس وهذا ما أشار إليه صاحب المنار عند تفسيره الإحسان المقصود في قوله تعالي ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ فقال : " إن من أدي ذلك كله وهو عابس الوجه مقطباً أو أنفق عليهما وهو يظهر الفقر . فإنه لا يُعد محسناً " (٢)

ويقول ﷺ في ضرورة إنفاق الولد علي والديه " يا أيها الناس يد المعطي العليا . وابدأ بمن تعول . أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك" [رواه المحلي لابن حزم]

ومن عظمة الإسلام أنه يأمر المسلم بأن ينفق على والديه – حتى وإن كانا غير مسلمين – فإذا كان الوالدان غير مسلمين فيؤمر الولد ببرهما والإنفاق عليهما يقول ابن القيم : فليس من البر أن يترك الولد أباه يعمل عملاً مهيناً أو أمه تخدم الناس

---

(1) لحسين بن حرب " البر والصلة " ص ١٩ .
(2) فسير المنار ج٥ صـ ٨٤

وهو في سعة من المال ويستطيع أن يكفيهما من ذلك (١) ويقول المصطفي ﷺ لمن جاء يشكو أباه " أنت ومالك لأبيك " [ابن ماجه] .

أما الحقوق الأدبية :

فلقد أجملها الحق تبارك وتعالي في قوله ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء :٢٣،٢٤]

فهذه حقوق الوالدين إجمالاً ولكن نفصلها فيما يلي :

١- طاعتهما في غير معصية :

فيجب علي الابن أن يطيع والديه في كل ما يأمرانه به إن لم يكن فيه معصية لله . قال بعض أهل العلم إن الطاعة واجبة في المباح والمندوب وقد يصل المباح والمندوب في حق الوالدين إلي درجة الواجب يقول المصطفي ﷺ " أطع والديك وإن أمراك أن تخرج من مالك ، وفي رواية أخري وإن أمراك أن تخرج من دنياك"

[البيهقي- السنن الكبرى]

وقد يختلف الفكر بين الابن ووالديه بحكم السن والخبرة . وهنا يجب على الابن أن يوازن بين العمل برأيه والعمل برأي والديه . وإذا رأي في كلامهما شيئاً يخالف رأيه فعليه ألا يشعرهما بهذا ويوضح لهما وجهة نظره في أدب ولين .

ومن حسن طاعتهما ألا يُعلي عليهما صوته ولا في حضرتهما يقول تعالي ﴿وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ والنهر هو: الزجر والغلظة وإعلاء الصوت .

ومن حسن الطاعة عدم التأفف وإظهار الضيق من تصرفاتهما أو من خدمتهما ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ .

---

(١) زاد عاد ج٤ صـ ١٦٧

جاء رجل إلي سيدنا عمر بن الخطاب وقال يا أمير المؤمنين إن لي أماً بلغ بها من الكبر أنها لا تقضي حاجتها " يعني البول والغائط " إلا وظهري مطيةً لها .

وأوضئها وأصرف وجهي عنها . فهل أديت حقها ؟ قال : لا . قال الابن : ألست قد حملتها علي ظهري وحبست نفسي علي خدمتها ؟ قال سيدنا عمر: إنها كانت تصنع ذلك معك وهي تتمني بقاءك . ولكنك تصنع ذلك معها وأنت تتمني فراقها) فيجب علي الولد طاعة والديه في كل ما يأمرانه به ما لم يأمرانه بمعصية الله لقوله تعالى ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾

[لقمان : ١٥]

٢- البر بهما :

ويكون بتقديم كل ما يمكن تقديمه للوالدين مما يطيب خاطرهما ويُعلي شأنهما . ولنا في التاريخ الإسلامي وحياة النبي ﷺ أمثلة رائعة للبر والإحسان للوالدين ومنها :

لما قدم وفد الأشعريين علي رسول الله ﷺ قال لهم : أفيكم " وجرة " (اسم امرأة من اليمن) ؟ قالوا : نعم . قال ﷺ : فإن الله قد أدخلها الجنة ببرها لأمها وهي مشركة " أي الأم " حيث أنها لما أُغير علي حِّيها " قبيلتها " احتملت أمها تشتد بها الرمضاء (شديدة الحرارة) . فإذا احترقت قدماها جلست وأجلست أمها في حجرها ، وأظلتها من الشمس ، فإذا استراحت حملتها " [رواه معمر في جامعه] .

انظر إلي هذا المثال العالي للبر فقد حملت وجرة أمها وهي كافرة وسارت بها في الحر الشديد حتى كادت حرارة الأرض أن تحرق قدميها . وكلما أرادت أن تجلس لتستريح تأبى أن تضع أمها على الأرض الحارة ولكنها تضعها في حجرها لتقيها حرارة الأرض فوجبت لها الجنة بذلك .

واعلم أيها الابن أن برك لوالديك أعظم أجراً من الجهاد في سبيل الله " جاء رجل إلي رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله أريد الجهاد معك قال له النبي ﷺ: أحيٌ والداك ؟ قال نعم ، قال ﷺ : ارجع إليهما ففيهما فجاهد " [متفق عليه] .

واعلم أيضاً أن البر يكفر الذنوب " ذهب رجل إلي رسول الله ﷺ وقال له إني قد أذنبت ذنباً كبيراً . فهل لي من توبة ؟ فقال ﷺ : ألك والدان ؟ قال لا . قال : ألك خالة ؟ قال : نعم . قال ﷺ : فاذهب فبرها " [رواه أحمد عن عبد الله بن عمر] .

انظر إلى رسول الله ﷺ وهو يخبر هذا الرجل بأن بره بوالديه – إن كانا حيين – سيغفر له ذنبه . فلما لم يجد له والدين حيين فأرشده النبي ﷺ إلي أقرب الناس إلى أمه وهي أختها .

وليعلم كل ابن أن كل ما يصنعه لوالديه سوف يراه متحققاً في أولاده إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وأن عقوقه لهما سوف يراه أيضاً عقوقاً في أولاده .

ولنأخذ مثالاً على ذلك من بر سيدنا إبراهيم بأبيه رغم كفره نلحظ ذلك من خلال حواره مع أبيه حيث كان يناديه في كل مرة بـ (يَا أَبَتِ) وفي نهاية حواره معه قال ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً﴾ [مريم : ٤٧] .

هذا البر وجده سيدنا إبراهيم متحققاً في ابنه إسماعيل حينما أخبره بما لا يستطيع أحدٌ أن يتحمله حيث قال له ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات : ١٠٢] فصدق رسول الله ﷺ حينما قال " برُّوا آباءكم تبركم أبناؤكم " [المعجم الأوسط والحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد] ولو أخذنا المفهوم المخالف لهذا الحديث لوجدناه " عقُّوا آباءكم يعقُّكم أبناؤكم " .

وعليك أن تختار لنفسك ما يحلولك .

٣- إكبارهما وإجلالهما وتوقيرهما في نفسك وأمام الناس جميعاً :

فيجب علي الولد أن يجلّ أبويه ويقدرهما وينزلهما من نفسه أكبر منزلة وذلك بعدة أشياء :

أ- ألا يناديه إلا بأحب الأسماء إليه ولا يناديه باسمه علانيةً كما نسمع الآن من بعض الشباب في صورة دعابات " يا حج فلان يا عم فلان أو يا فلان " فهذا ينافي الأدب مع الوالدين .

فليكن نداؤك لهما غير ندائك لأي شخص آخر .

وليكن نداؤك لهما بصفتهما مثل يا أبي يا أمي .

ب- أن يقدمهما علي نفسه في كل شيء فيُروي " أن أبا هريرة رأي رجلين فقال لأحدهما ما هذا منك قال : أبي . فقال أبو هريرة : لا تُسمِّه باسمه ، ولا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله " [الأدب المفرد للبخاري] .

ويقول المصطفى ﷺ " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا " [الترمذي عن ابن عباس] .

فإذا كان المسلم يخرج من إسلامه إذا لم يوقر الكبير فما بالك إذا كان هذا الكبير أباك أو أمك .

ونتعلم ذلك من أنبياء الله فقد كان سيدنا إبراهيم يجل أباه ويحترمه رغم كفره وانظر إلي حواره معه ففي كل مرة يقول لأبيه " يا أبت " فلم يناده باسمه أبداً .

ج- ومن إجلاله لهما ألا يرفع يده أمامها متوعداً أو محذراً وألا يُحِد النظر إليهما يقول عروة بن الزبير " ما بر والده من أحدّ النظر إليه " .

د- ومن إجلالهما التحدث معهما بأدب ووقار يقول تعالى ﴿ فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُمَا وقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾ [الإسراء : ٢٣] والقول الكريم هو كل قول جميل يقتضيه حسن الأدب وهو القول اللين اللطيف . (١)

٤- الحرص علي إرضائهما بكل الطرق :

فيجب عليك أيها الابن أن تسلك كل الطرق لإرضاء والديك .

ولتعلم أن رضاهما من رضا الله تعالي واعلم أن إرضاءهما واجب عليك - وإن ظلماك في شيء من أمور الدنيا - وكثيراً ما يحدث ذلك فيظلم الوالدان ابناً أو بنتاً لهما لشيء في نفسيهما وبذلك يستعدي الابن لعقوقهما وعصيانهما وعدم إرضائهما والأب مخطئ في ذلك لا شك ولكن ليس للابن الحق في محاسبته . فليحاسبه الله . ورغم ذلك فليس للابن الحق في عقوقهما .

بل ويجب عليه أن يحرص على إرضائهما يقول ﷺ " من أصبح ووالداه عنه راضيين . أصبح وله بابان مفتوحان من الجنة . ومن أمسي ووالداه عنه ساخطين أمسي وله بابان مفتوحان من النار . وإن كان واحداً . فواحداً . وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه " ويقول المصطفي ﷺ " رضا الله في رضا الوالدين . وسخط الله في سخط الوالدين " [رواه الحاكم والترمذي] .

واحذر أخي المسلم دعاءهما عليك فإنه مقبولٌ قال ﷺ " ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، والمسافر ،ودعوة الوالدين علي ولدهما " [رواه أبو داود]

٥- التواضع لهما والتضاؤل أمامهما :

فمهما تبوأ الإنسان أعلي المناصب ونال أعلي الدرجات فعليه أن يتضاءل أمام والديه ويُشعرهما أن ما به من نعمة بفضل الله ثم بفضل رضاهما عليه .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي

وعليه ألا يتبرأ منهما ولا من مهنتهما مهما كانت حقيرة – في نظر البعض – بل عليه أن يرفعهما إلي مكانته لأنهما السبب المباشر في وجوده في الحياة .

وما من أحد تبرأ أو تكبر أو احتقر أبويه إلا رأى عاقبة ذلك وجزاءه في الدنيا إما ضيقاً في الرزق . أو مرض . أو عقوقاً في أبنائه . أو غير ذلك .

فعلى الابن أن يتواضع لوالديه ويري نفسه – مهما عظم – قليلاً أمامهما يقول تعالي: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء : ٢٤] يقول القرطبي "ينبغي للإنسان أن يجعل نفسه مع أبويه في خير ذلة في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته ونظراته ولا يُحِد لهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب " . (١)

٦– الشكر لهما دائما وتذكر فضلهما عليك :

فيجب علي الابن أن يحرص دائماً في كل وقت وحين أن يشكر لوالديه إحسانهما له علي كل ما قدماه له ، وليعلم أن العبد منا لا يعتبر شاكراً لله إلا إذا شكر لوالديه يقول تعالي ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان : ١٤] ويقول المصطفيﷺ " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " [رواه مسلم] وأولي الناس بالشكر بل وأولهم هم الوالدان .

٧– مصاحبتهما بالمعروف :

وهذا في كل الأحوال حتى وإن اختلفا في الدين يقول تعالي في وجوب المصاحبة بالمعروف مع الاختلاف في الدين الذي هو أعظم شيء في حياة الإنسان ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ [لقمان : ١٥] .

---

(1) تفسير القرطبي ج١ ص ٢٤٤

فإذا كانت المصاحبة بالمعروف واجبة مع اختلاف الدين . فهي مع الاتفاق في الدين أوجب . وإن كان الأمر بالمصاحبة بالمعروف في الآية عاماً وليس قاصراً علي الاختلاف في الدين فقط علي اعتبار أن قوله تعالي ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ [لقمان : ١٥] جملة مستأنفة فعن أسماء بنت أبي بكر قالت : " قدِمت عليّ أمي في عهد قريب . وهي راغمة مشركة . فقلت : يا رسول الله" أ فأصل أمي ؟ قال : نعم صلي أمك " [رواه البخاري] .

٨- ألا يُفضّل عليهما أحداً من أهله (زوجة أو أبناء) :

فيجب على الابن أن يقدم أبويه في كل شيء وأن يختصهما بكل خير وأن يخصهما بالحب والرعاية قبل أي إنسان آخر حتى على نفسه وولده وزوجه ففي حديث الثلاثة الذين آواهم الغار في يوم عاصف حتى جاءت صخرة فسدّت عليهم الغار . فظل كل واحد منهم يتوسل إلي الله بعمل صالح كان قد عمله . حتى يفرج عنهم هذه الصخرة وكان منهم رجل يقول : اللهم إنه كان لي أبوان كنت لا أقدّم عليهما أحداً . فكنت كل يوم أحلب شاتي وأذهب إليهما لأعطيهما غبوقهما . فإذا شربا وشبعا أخذت ما تبقي منهما لي ولأبنائي . يقول : فبَعُد بي المرعي يوماً فتأخرت عنهما فجئتهما بغبوقهما فوجدتهما قد ناما فخشيت أن أوقظهما . فظللت واقفاً عند رأسيهما وأطفالي يتضاغون جوعاً تحت قدمي حتى طلع الفجر فأعطيتهما غبوقهما. اللهم إن كان هذا العمل خالصاً لوجهك ففرج عنا هذه الصخرة فتحركت الصخرة " [رواه البخاري] فخرجوا يمشون .

ومن هذا الحديث أجاز العلماء التوسل إلي الله بالأعمال الصالحة .

كما يجوز التوسل بالنبي ﷺ وآل بيته الكرام .

وإليك هذا النموذج الرائع في البر وتقديم الوالدين حتى علي النفس فقد جاء عن الحسن بن على أنه كان لا يأكل مع أمه السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها . في

صُحفةٍ واحدة (إناء) . فقيل له في ذلك فقال : أخشي أن تمتد يدي إلي طعام في الصحفة تكون قد سبقتني عيناها إليه أكون قد حرمتها من شيء تشتهيه . فأكون قد عققتها ".

انظر إلي هذا الأدب الجم مع الأم – لا يأكل معها حتى لا تسبقها يده إلى طعام هي قد نظرت إليه واشتهته – فما بالك بمن يدخل بالطعام والفاكهة على أولاده (علناً أو سراً) ويحرم والديه منها ؟ .

وهما اللذان كانا يخرجان الطعام من فمهما ليعطياه له وما بالك بالذي يتخلص من أبويه كليةً عند كبر سنهما فيضعهما في دار للمسنين لأنه ليس لديه الوقت أو الطاقة للقيام علي خدمتهما أو إرضاءً لزوجته التي لم تعد تتحمل رعايتهما فيضعهما في دارٍ للمسنين إرضاءً لها ولا يراهما إلا كل فترة قد تمتد إلي عام كامل فيما يسمي "بعيد الأم " .

وتلك جريمة من أبشع الجرائم التي ترتكب في حق الوالدين وكم هي مهينة ومذلة للوالدين ولا تقل إهانة عن سبهما أو شتمهما أو حتى ضربهما .

فوالله لو ظللت أيها الابن عمرك كله واقفاً عند قدميهما ما وفيتهما حقهما فكيف يتسنى لك أن تهينهما هذه الإهانة ؟ خاصةً في هذا السن الذي نهاك الله فيه عن مجرد التأفيف لهما لقوله تعالى ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾ [الإسراء : ٢٤] .

أيكون القول الكريم في هذا السن " آسف لقد تعبت من خدمتكم . وأتمنى فراقكم . لقد أديتم مهمتكم وكبرتموني . والآن فلتذهبوا إلي الجحيم . حتى أستطيع أن أهنأ بحياتي بعيداً عنكم " .

فهيهات هيهات أن ترى هناءً بعد ذلك وأي هناءٍ دنيوي تنتظر في سخط والديك . وأي هناءٍ أخروي تنتظر . وقد حُرمت الجنة التي كانت تحت قدم أمك . وأي هناءٍ تنتظر وقد حرمت باباً من أبواب الجنة باسم والدك فله بابٌ في الجنة يقول ﷺ "الوالد أوسط أبواب الجنة . فإن شئت فأضع هذا الباب أو أحفظه" [الترمذي] .

٩- حقوق أخري مهمة للوالدين :

وإن كنت قد أشرتُ إليها عند الحديث عن الحقوق الزوجية ولكنني لا أجد حرجاً من إعادتها هنا للتأكيد علي أهميتها عند موت أحدهم فيجب علي الولد أن يرفع عن والديه الحرج ويعرض عليه الزواج .

فربما يرغب الوالد أو الوالدة في الزواج بعد وفاة الآخر ولكنه يجد حرجاً من أولاده خاصة إذا كانوا كباراً . فعليهم أن يرفعوا عنه هذا الحرج ويبادروا هم بطلب الزواج له والإلحاح في ذلك .

ولكن هذا الأمر قد يكون أكبر وأوجب في حق الأم عند موت الأب فالأم تشعر بحرج أكبر وقد تكبت رغبتها في الزواج خوفاً من لوم أولادها لها والمجتمع كله.

وهذا خطأٌ كبير يقع فيه المجتمع بأسره حينما ينظر للأرملة التي تتزوج بعد زوجها – وخاصة إذا كان معها أولاد – نظرة احتقار. ويلمزونها بأبشع عبارات اللوم ويوخذونها بأفظع الكلمات .

فعلي أولادها أولاً أن يبادروا بعرض الزواج عليها والإلحاح في ذلك إذا كانوا بالفعل يحبونها حتى لا تشعر الأم أن أولادها حجر عثرة في سبيل إفضاء غريزتها الفطرية وسعادتها الدنيوية وهى التي أفنت حياتها من أجل إسعادهم .

وليعلم الأبناء أن كلا منهم سوف يتزوج وتكون له حياته الخاصة بعد ذلك وتترك الأم أو الأب يقاسون مرارة الوحدة في حين يرون أولادهم الذين حرموا أنفسهم من كل ذلك لأجلهم ينعمون مع أزواجهم وأولادهم .

فليصحح المجتمع كله نظرته خاصة إلي الأرملة التي ترغب في الزواج لإعفاف نفسها عن الرذيلة .

١٠- برهما بعد موتهما :

مخطئ من يظن أن بر الوالدين قاصر علي حياتهما أو من يظن أن من مات أبواه فإنه قد استراح من واجباته نحوهما . ولم يعد عليه شيء لهما فذهب رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : " يا رسول الله هل بقي عليّ من بر أبوىّ شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال ﷺ : نعم خصالٌ أربع : الدعاء والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلها " [رواه أبو داود] .

فأول الواجبات الدعاء لهما لقوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء : ٢٤]

والاستغفار لهما وهو طلب المغفرة لهما هو دأب الأنبياء والمرسلين يقول تعالى على لسان إبراهيم ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم : ٤١] ويقول تعالي علي لسان نوح عليه السلام ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي ولِوَالِدَيَّ ولِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وللْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ ولا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلاَّ تَبَاراً﴾ [نوح : ٢٨] .

وإنفاذ عهدهما وهو تنفيذ كل ما أوصي به الوالدان ما لم يكن في وصيتهما ما يغضب الله .

وإكرام صديقهما ويكون ببر ومودة من كان يبرهم أبواه من أصدقاء وهو أعلي درجات البر يقول ﷺ " إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه " [رواه الترمذي]

ولقد رأي رجلٌ عبد الله بن عمر يوماً في المدينة وقد نزل عن فرسه وأركب عليه رجلاً رث الثياب ومشي هو بجواره . فسألوه : من هذا الذي تنزل عن فرسك وتمشي ويركب هو ؟ قال : رأيت عمر " يجله" (يقدره) فها هو عبد الله بن عمر بن الخطاب يجل ويوقر رجلاً لا يعرفه لمجرد أنه رأي أباه يجله ويقدره .

وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما فصلتك لكل من يتصل برحم مع والديك هي صلة لوالديك من أخوة وأخوات وأعمام وعمات وأخوال وخالات ولقد سبق أن اشرنا إلي حديث النبي ﷺ الذي أشار فيه علي من أذنب ذنباً كبيراً ويريد التوبة أن يبر خالته لأن ذلك يكفر ذنبه .

وهذه بعض حقوق الوالدين وهذا قليلٌ من كثير . فحقوق الوالدين لا حصر لها فكما أشرت من قبل أن الإنسان منا لو عاش طيلة حياته تحت قدمي والديه ما وفاهما حقّهما ، ومهما قدم لهما فإنه قليل إذا قورن بما قدماه له .

فلا يسعنا إلا أن نتوجه إلى الله بالدعاء لهما أن يجزيهما عنا خير الجزاء إنه نعم المولى ونعم النصير .

***

الخاتـــمة

لله الحمد والمنةُ . أن أتم عليّ هذه النعمة وانتهيت بفضل الله من هذا العمل والذي عرضت فيه رؤية الإسلام للحياة الأسرية وما تضمنته هذه الرؤية من تعاليم وإرشادات تواكب وتتفق مع العصر .

وقد رأينا كيف أن الإسلام الحنيف دين يصلح لقيادة وسعادة البشرية إلى أن تقوم الساعة . فكلما تقدمت البشرية وظنّت أن الإسلام لم يعد يناسب درجة تقدمها وما توصلت إليه فوجئت بأن كل ما وصلت إليه من تقدم في شتى المجالات له أصل في الإسلام أشار إليه القرآن الكريم أو السنة المطهرة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان. ولكن لم يلتفت إليه أحد .

وهكذا نكتشف في القرآن كل يوم سراً من أسرار هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه وهذا ما قصدته من هذا الكتاب .

وهو أن أثبت عملياً أن رؤية الإسلام لكافة أمور الحياة هي رؤية عصرية متطورة مرنة يأخذ منها أهل كل عصر ما يناسبهم ويصلح شأنهم .

وقد عرضت في هذا الكتاب رؤية الإسلام للحياة الأسرية من خلال نظرة الإسلام للأسرة واهتمامه بها وحرصه على دعوة أتباعه لتكوينها ووضع المعايير والأسس التي

ينبغي أن تقام عليها الأسرة من خلال عرض موجز لحق كل فرد من أفراد الأسرة وبيان ما له من حقوق وما عليه من واجبات .

فإذا أدى كل فرد ما عليه قامت الأسرة على أساس متين ، وبذلك نكون قد أنشأنا مجتمعاً قوياً وهذا ما ينشده الإسلام دائماً وأبداً .

والله أسأل أن تصل رسالتي إلى كل مسلم كما أسأله تعالى أن ينفع بهذا العمل المسلمين أجمعين ويكون معيناً ونبراساً لكل من يريد أن يؤسس أسرة قوية على أساس إسلامي .

إنه نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير وصلِ اللهم على البشير النذير وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

***

المراجـــع

١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

٢) تفسير الطبري للإمام الطبري .

٣) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي .

٤) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب .

٥) تفسير المنار أ / محمد رشيد رضا من دروس الشيخ محمد عبده

٦) صحيح البخاري للإمام البخاري .

٧) صحيح مسلم للإمام مسلم .

٨) مسند الإمام الترمذي للإمام الترمذي .

٩) مسند الإمام أحمد . للإمام أحمد

١٠) مسند ابن ماجه لابن ماجه .

١١) الأدب المفرد للبخاري .

١٢) مجمع الزوائد للهيثمي .

١٣) الجامع الصغير للطبراني .

١٤) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني .

١٥) بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني .

١٦) مستدرك الحاكم للحاكم .

١٧) تنبيه الغافلين للسمرقندي .

١٨) نيل الأوطار للإمام الشوكاني .

١٩) صحيح الجامع للألباني .

٢٠) السلسلة الصحيحة للألباني .

٢١) الطبقات الكبري لابن سعد .

٢٢) سيرة ابن هشام لابن هشام .

٢٣) زاد المعاد لابن القيم .

٢٤) فقه السنة للشيخ سيد سابق –الفتح للإعلام العربي .

٢٥) الأسرة وإبداع الأبناء د/ عبد الحليم محمود – دار المعارف – القاهرة

٢٦) التربية الإسلامية د/ محمد فؤاد الأهواني .

٢٧) أحكام الخلع في الإسلام د/ محمد تقي الدين الهلالي .

٢٨) دعائم العلاقة الزوجية وأثرها علي تنمية الإبتكار لدي الأبناء أ.د / محمد الدسوقي – منبر الإسلام – يونية ٢٠٠٧ .

٢٩) أطفال بلا أسر ترجمة محمد بدران .

٣٠) النمو والتربية سلوي أبو زيد .

٣١) المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية. د/ محمد أحمد اسماعيل المقدم .

المؤلف في سطور

مصطفى حسن أحمد أحمد الشهير بمصطفى البحطيطي .

تخرَّج في كلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر قسم : عقيدة وفلسفة . عام ١٩٩٢ بتقدير عام جيد جداً .

عمل مدرساً للغة العربية بوزارة التربية والتعليم لمدة عشر سنوات .

يعمل إماماً وخطيباً بوزارة الأوقاف منذ عام ١٩٩٥ م .

فاز بلقب الإمام المثالي على مستوى محافظة الإسماعيلية عام ٢٠٠٧ ، وتمَّ تكريمه من معالي الأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف .

***

كتب للمؤلف تحت الطبع

١- حقوق المرأة في الإسلام .

٢- الزواج العرفي في ميزان الإسلام .

٣- رغيف العيش بين الإفراط والتفريط .

٤- النخلة والتمر بين القرآن الكريم والعلم الحديث .

***